

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٤٠٩ : خ ١ - سمو النبي صلى الله عليه وسلم ، خ ٢ - الفضل ( من كان معه فضل ظهر...).

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٢-٠٩-٢٥

## بسم الله الرحمن الرحيم

### الخطبة الأولى:

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكلي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته ، وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسول الله سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذنً بخبر ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريته ، ومن والاه ، ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، والطف بنا فيما جرت به المقادير ، إنك على كل شيء قدير ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

### سمو النبي الكريم في القول و العمل و السلوك و المشاعر :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ لازلنا في شهر المولد ، ولا زلنا نتحدث عن شمائل النبي عليه الصلاة والسلام ، وقد كان موضوع الخطبة السابقة ، الحديث عن حبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والحديث عن رحمته ، يا من كانت الرحمة مهجته ، والحب فطرته ، والسمو حرفته ، ومشكلات الناس عبادته .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ النبي صلى الله عليه وسلم حياته كلها سموً في سموٍ في سمو ، سموً في القول ، وسمو في العمل ، وسمو في النفس ، وسمو في السلوك ، وسمو في المشاعر والأحاسيس ، حينما كان طفلاً صغيراً رآه بعض رفاقه وأترابه فدعوه إلى أن يلهم معهم ، وأحوا عليه ، فما زاد عن أن قال : أنا لم أخلق لهذا . أي لم أخلق للهو ، ولا للعب ، ولا لتضييع الوقت . فيا أيها الأخوة المؤمنون ؛ ألا ينبغي أن يكون النبي عليه الصلاة والسلام أسوة لنا كلما دعونا إلى شيء فيه مضيعة للوقت ؟ فيه إتلاف للطاقة والجهد ؟ فيه انحراف عن الطريق المستقيم ؟ كلما دعونا إلى شيء يتناقض مع ما خلقنا له ؟ ألا ينبغي أن نقلد النبي عليه الصلاة والسلام ؟ ألا ينبغي أن نشعر أن حياة الإنسان أخطر من أن تضيع فيما لا يرضي الله عز وجل؟ هذه وقفة قصيرة عند هذا الموقف ، كلما دعي إلى اللهو واللعب يقول : " أنا لم أخلق لهذا".

ما عند الله خير وأبقى من هذه الدنيا الفانية :

أيها الأخوة الأكارم ؛ وصفه الله عز وجل بأنه في الأفق الأعلى ، ففي أي أفق نحن ؟ في أفق جمع الدرهم والدينار ؟ في أفق العلو في الأرض ؟ في أفق الانغماس في الملذات والشهوات ؟ في أفق تحقيق ذواتنا ومصالحنا ؟ في أي أفق كان عليه الصلاة والسلام ؟ كانت الرحمة مهجته ، والسمو حرفته ، ومشكلات الناس عبادته .

أيها الأخوة الأكارم ؛ شيء دقيق جداً هو أن الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم يقول :  
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَرُّوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾

[سورة التوبة : ٣٨]

وفي آية ثانية :

﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾

[سورة النساء : ٧٧]

وفي آية ثالثة :

﴿ وَمَا أوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

[سورة القصص : ٦٠]

آية رابعة : سحرة فرعون خاطبوا فرعون فقالوا :

﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْتِكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾

[سورة طه : ٧٢-٧٣]

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ يجب أن تؤمنوا أن ما عند الله خير وأبقى من هذه الدنيا الفانية ، لذلك لما دعي النبي عليه الصلاة والسلام إلى الله قال : " أنا لم أخلق لهذا " فينبغي أن نعلم جميعاً نحن لماذا خلقنا ؟ لماذا جننا إلى الدنيا ؟ ماذا ينتظر منا أن نعمل ؟ ماذا بعد الحياة ؟

محبة الله تعالى لمعالي الأمور وأشرفها وكرمه لسفسافها :

أيها الأخوة الأكارم ؛ الآية الكريمة التي تقول :  
﴿ وَالْعَصْرِ \* إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ \* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

[سورة العنكبوت : ١-٣]

أي استهلاك للوقت لغير ما خلقت له خسارة محققة ، سوف يشعر الإنسان بفداحة الخسارة ولكن حينما يصحو ، لأن الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا .

أيها الأخوة الأكارم ؛ كان عليه الصلاة والسلام يقول :

**((إن الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرفها ويكره سفاسفها ))**

[ الطبراني عن الحسن بن علي تصحيح السيوطي : حسن ]

دائماً وأبداً راقب نفسك هل تعنيك معالي الأمور أم تعنيك سفاسفها وأعمالها المنحطة ؟ إن الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرفها ويكره سفاسفها ، من أجل أن نعرف سمو النبي عليه الصلاة والسلام دققوا في أدعيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول :

**((اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا ))**

[ مسلم عن زيد بن أرقم ]

هذا دعاء يؤكد سمو النبي عليه الصلاة والسلام ، كان يدعو ويقول :

**((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا ))**

[ مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه ]

كان عليه الصلاة والسلام انطلقاً من سموه العظيم ، كان يدعو ويقول :

**((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ))**

[ الترمذي عن قُطَيْبَةَ بْنِ مَالِكٍ ]

**((اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي ، وَأَعِزَّنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي))**

[ الترمذي عن عمران بن الحصين ]

**((اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحِلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ))**

[ الترمذي عن علي ]

**((اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إلي))**

[ الترمذي عن علي ]

**(( اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي وَمَنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ ))**

[ الترمذي عن أبي الدرداء ]

كان عليه الصلاة والسلام من سمو نفسه يدعو ويقول :

**((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعِفَافَ وَالعَنَى))**

[ مسلم عن ابن مسعود ]

كان عليه الصلاة والسلام يقول :

**((اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم ، والشوق إلى لقائك))**

[ النسائي والحاكم في المستدرک عن عمار بن ياسر ]

كان عليه الصلاة والسلام يدعو ويقول :

**((اللهم اهدني لأحسن الأعمال ، وأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، وقتني سيئ الأعمال وسيئ الأخلاق ، لا يقي سيئها إلا أنت))**

[ النسائي عن جابر بن عبد الله ]

أيها الأخوة الأكارم ؛ انظر أنت تدعو بماذا ؟ إذا أردت أن تدعو بماذا تدعو ؟ قل لي ماذا تدعو أقل لك من أنت ، نمط دعائك يحدد مستوى نفسك ، هذه أدعية النبي عليه الصلاة والسلام . كان

يبحث عن الهدى ، والتقوى ، والعفاف ، والغنى . كان يسأل ربه جل جلاله أن تكون أعماله طيبة . كان يسأله الشوق إلى لقائه . كان يسأله الحب العظيم ، حبك وحب من يحبك وحب عمل صالح يقربني إلى حبك .

### تمثل النبي الكريم كل خلق حسن :

أيها الأخوة الأكارم ؛ شيء دقيق جداً هو أن الأشياء الفانية الزائلة التي لا جدوى منها لا نشعر بفداحة الخسارة إن استهلكنا وقتنا فيها إلا يوم القيامة ، لذلك :

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

[ سورة الشعراء: ٨٨-٨٩ ]

أيها الأخوة الأكارم ؛ من سمو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يتمثل كل خلق حسن فقد قال عليه الصلاة والسلام :

(( ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله يبغض الفاحش البذيء ))

[ الترمذي عن أبي الدرداء ]

ويقول عليه الصلاة والسلام :

((إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة ، وشرف المنازل))

[ الطبراني وأبو الشيخ في كتاب طبقات الأصبهاني من حديث أنس بإسناد جيد ]

وكان عليه الصلاة والسلام يقول :

((إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق))

[ البزار وأبو يعلى والطبراني في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة ]

وكان عليه الصلاة والسلام يقول :

((ذهب حسن الخلق بخيري الدنيا والآخرة))

[ البزار والطبراني في الكبير والخرائطي في مكارم الأخلاق بإسناد ضعيف من حديث أنس ]

وكان يدعو ربه ويقول :

((اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي ))

[ ابن السني عن علي رضي الله عنه ]

فالخلق الحسن من سمو النبي عليه الصلاة والسلام ، أدعيته التي يدعو ربه بها من سمو النبي عليه الصلاة والسلام ، معرفته لماذا هو في الدنيا وما أخطر رسالة يحملها من سموه عليه الصلاة والسلام .

أيها الأخوة الأكارم ؛ من أخلاقه العلية أنه مرة جيء له بسارق ، والذي جاء به قال : يا رسول الله رأينا هذا يسرق ، فغضب عليه الصلاة والسلام ، وهو الذي وصف السرقة بأنها سرقة ، وهو الذي وصم السارق بأنه سارق ، ولكن حينما تلبست هذه الجريمة بإنسان أشفق النبي عليه الصلاة والسلام .

والسلام وقال : هلا قلت رأينا يده في جيب فلان ؟ وكره عليه الصلاة والسلام أن يوصم هذا الإنسان بالسرقة قبل التحقق الدقيق ، وقبل معرفة الأهداف والنوايا .  
أيها الأخوة الأكارم ؛ من سموه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والقصة تعرفونها جميعاً - أنه ذات يوم كان جالساً بين أصحابه ينتظرون الصلاة ، وكانوا حديثي عهد بوليمة أكلوا فيها لحم جزور ، فانبعثت في المجلس ريح غير طيبة ، أدرك النبي عليه الصلاة والسلام أن هذه الريح من غازات الجوف وتنفس الأمعاء ، وأدرك النبي عليه الصلاة والسلام أن صاحب هذه الريح قد وقع في حرج شديد ، فالمفروض أنهم جميعاً متوضئون ، وبعد لحظات سيقومون إلى الصلاة ، فإذا أراد ذلك الرجل المجهول أن يقوم ليتوضأ ظهر للآخرين أنه مصدر هذه الريح غير الطيبة ، وفي هذا حرج له وإخجال ، فمن سموه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال : " ليتوضأ كل من أكل لحم الجزور ، فقال أصحابه الكرام : يا رسول الله كلنا أكل هذا اللحم ، فقال عليه الصلاة والسلام إذا كلكم فليتوضأ " أراد عليه الصلاة والسلام أن يحفظ لهذا الرجل ماء وجهه ، أراد ألا يخجله ، أراد ألا يخرجه ، أراد ألا يوقعه في حرج شديد ، وهو الذي يقول : " لا تحمروا الوجوه " .

### مشكلات الناس عبادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

أيها الأخوة الأكارم ؛ هذا من سمو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فماذا عن النقطة الثانية في هذه الخطبة والتي هي حول أن مشكلات الناس عبادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

### ((وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيه))

[ مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ]

الآن دققوا في هذه الأحاديث والمسلمون اليوم في أمس الحاجة إليها ، ولم يكون احتفالهم بعيد مولد نبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ احتفالاً حقيقياً إلا إذا تمثلوا سنته الشريفة ، كان عليه الصلاة والسلام يقول :

### ((ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً))

[ ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج والطبراني عن ابن عمر ]

دققوا أن تمشي مع أخ في حاجته ، أن تحل مشكلات الناس ، أن تعينهم على قضاء حوائجهم ، أن تعطف عليهم ، أن تمسح عنهم الآلام ، أن تفرحهم ، أن تسرهم ، أن تساعدهم على حل مشكلاتهم ، هذا عند النبي عليه الصلاة والسلام عبادة ، بل هو من أرقى العبادات ، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً .  
دقق ووازن بين أجر أن تعتكف ، وأجر أن تصوم ، وأجر أن تصلي ، وأجر أن تمشي مع أخ لك في حاجة ، لأن المسلمين كلما تمتنت العلاقة فيما بينهم ، وكلما كان بعضهم في خدمة بعض ، وكلما توطدت علاقة الأخوة بينهم كان هذا أعود على دينهم بالخير .

حديث آخر عن أن مشكلات الناس عبادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ سئل عليه الصلاة والسلام أي الناس أحب إلى الله ؟ الآن سيجيب النبي عن الرجل الذي يحبه الله جل جلاله أشد من أي رجل آخر فقال عليه الصلاة والسلام :

**((أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس))**

[ الطبراني وابن أبي الدنيا عن ابن عمر بزيادة ]

**أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس :**

كلما اتسعت دائرة نفعك ، كلما عمّ خيرك للناس ، كلما اتسعت دائرة خدماتك ، كلما كنت عنصراً فعالاً في خدمة المجتمع ، كلما مسحت الدموع من عيون البائسين ، كلما أدخلت الفرحة إلى قلوب المعذبين ، كلما صنعت البسمة على وجوه الأشقياء ، كلما بشرت الناس ، كلما أعنتهم على أمر دينهم ودنياهم ، كنت أقرب إلى الله عز وجل ، سئل عليه الصلاة والسلام أي الناس أحب إلى الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام :

**((أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس))**

[ الطبراني وابن أبي الدنيا عن ابن عمر بزيادة ]

كيف لا : والخلق كلهم عيال الله ، فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله .

وبإمكانك أن تنفع عيال الله من خلال عملك ، من خلال حرفتك ، من خلال صنعتك ، من خلال مهنتك ، من خلال أبوتك ، من خلال بنوتك ، من خلال مهمتك التي أنيطت بك ، عمل الإنسان أرحب مجال لينفع به الآخرين ، عمل الإنسان يكفي أن يصدقهم ، يكفي أن ينصحهم ، يكفي ألا يغشهم ، يكفي أن يقدم لهم شيئاً ثميناً بسعر معقول فهذا نفع لهم .

**شكر النعمة بذلها :**

استمعوا أيها الأخوة إلى حديث ثالث يقول عليه الصلاة والسلام :

**((إن الله خلقاً خلقهم لحوائج الناس ، تفرع الناس إليهم في حوائجهم أولئك الآمنون من عذاب الله))**

[ الطبراني وضعفه وحسن حديثه ابن عدي ، وأحمد بن طارق الراوي عنه لم أعرفه ، وبقية رجاله رجال الصحيح ]

إذا طرق بابك ، إذا وقف الناس على بابك يسألونك قضاء حاجة هذا وسام شرف لك ، هذه نعمة كبيرة أنعم الله بها عليك ، لذلك إذا أحب الله عبده جعل حوائج الناس إليه ، فلا ينبغي للمؤمن إذا قصده الناس ، وألحوا عليه ، وأخذوا من وقته أن يتأفف ، أو أن يتضجر ، فهذه نعمة كبرى أنعم الله بها على المؤمن ، في حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام :

## ((من كان وصلة لأخيه المسلم إلى ذي سلطان في مبلغ بر أو تيسير عسير أعانه الله على إجازة الصراط يوم القيامة عند دحض الأقدام ))

[ الحسن بن سفيان والخرائطي في مكارم الأخلاق ، وابن عساكر عن عائشة ، صحيح ]

أحياناً بإمكانك أن ترفع حاجة من لا يستطيع رفعها إلى ذي سلطان ، تعرف زبداً من الناس ، وهناك صداقة مع عبيد ، وأنت تحب أن تفعل الخير ، وهذا إنسان أخ لك ضعيف ، لا يستطيع أن يصل إلى هذا الإنسان ، ولو وصل إليه لا يصغي إليه ، إذا ذهبت أنت ونقلت هذه الحاجة من ضعيف إلى قوي ، من ممنوع أن يدخل ، إلى مسموح له أن يدخل ، إذا فعلت هذا كان لك عند الله أجر كبير ، ورفع درجتك يوم القيامة .

حديث آخر فيه بشارة إلى كل من ألهمه خدمة الخلق ، قال عليه الصلاة والسلام :

((إن الله أقواماً اختصهم بالنعمة لمنافع العباد ، يقرهم فيها ما بذلوا ، فإذا منعوها نزعها منهم

### فحولها إلى غيرهم))

[ الطبراني في الأوسط والكبير ، وفيه محمد بن حسان السمطي وثقه ابن معين وغيره وفيه لين ، ولكن شيخه أبو عثمان عبد الله بن زيد الحمصي ، ضعفه الأزدي ]

أي أنت في نعمة ما ، ما دمت تبذل هذه النعمة فإله سبحانه وتعالى يبقيها لك ، وينميها ، ويزيدك منها ، في اللحظة التي تبخل بها ، وتحرمها من أصحابها ، عندئذ يسلبها الله منك ويحولها إلى غيرك هذه نقطة خطيرة ، قد ينعم الله عليك بنعمة المال ، فإذا سخرته لخدمة الخلق ، ولقضاء حوائجهم ، ولحل مشكلاتهم ، أفرك الله على هذا المال ونماه لك ، نعمة الجاه إن وظفت هذه النعمة في خدمة الخلق أفرها الله لك ونماها لك ، لأن الله عز وجل يقول :

﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾

[ سورة إبراهيم : ٧ ]

وشكر النعمة بذلها .

إذاً : إن الله أقواماً اختصهم بالنعمة لمنافع العباد يقرهم فيها - أي يبقيها بين أيديهم - ما بذلوا ، فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم .

## حل مشكلات الناس عبادة جليلة عنده صلى الله عليه وسلم :

حديث آخر يؤكد أن مشكلات الناس عبادة من عبادات النبي عليه الصلاة والسلام ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((من شفع لأخيه شفاعاً فأهدي له هدية عليها فقبلها منه فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الربا))

[ أحمد عن أبي أمامة ]

أي إذا شفعت شفاعاً تبتغي بها وجه الله عز وجل ، لا ينبغي أن تأخذ أجراً على هذه الشفاع ، إن أخذت أجراً فضلاً عن أن هذا من الكبائر ، هذا هو نصيب هذا العمل الصالح ، أي إن شفعت لإنسان فأصابه خير نزه هذا العمل عن أن يكون مأجوراً .

وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام :

**((من أعان ظالماً بباطل ليدحض حقاً فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله))**

[ الطبراني والخطيب والحاكم عن ابن عباس ، وضعف ]

أي إذا أعنت ظالماً سلطه الله عليك ، إذا أعنت ظالماً تدحض بهذه الإعانة حقاً ، أو تثبت باطلاً ، فقد برئت منك ذمة الله ، وذمة رسوله .

والمقسطون هم المنصفون ، والنبي عليه الصلاة والسلام حينما سئل عن الكبر فقال في تعريف الكبر في إجابة جامعة مانعة :

**(( الكبر بطر الحق وغمط الناس ))**

[مسلم وأبو داود والترمذي عن عبد الله بن مسعود]

بطر الحق أي رد الحق ، ألا تقبل بكتاب الله ، ألا تقبل بسنة رسول الله ، ألا تحتكم إلى الشرع هذا كبر في الإنسان .

**(( لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ))**

[مسلم عن عبد الله بن مسعود]

من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، لأن هذا الكبر يتناقض مع العبودية لله عز وجل ، فالكبر في أدق تعاريفه بطر الحق وغمط الناس ؛ غمط الناس أي عدم إنصافهم .

**(( إن المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين ))**

[عن ابن عمرو تصحيح السيوطي : عزاه لمسلم ، فهو صحيح]

ويقول عليه الصلاة والسلام وننطلق في كل هذه الأحاديث من أن حلّ مشكلات الناس عبادة جليلة عنده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يجب أن تعلم أنك إذا خدمة الناس ، إذا أعنتهم على قضاء حوائجهم ، إذا كنت عوناً لهم ، إذا مسحت بيدك الكريمة جراحاتهم ، إذا أزلت الدمعة من عيونهم، إذا صنعت البسمة على وجوههم ، إذا أدخلت السرور في قلوبهم ، فهذه عبادة من أجلّ العبادات أثر عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

## حق الرعية و النصح لها :

يقول عليه الصلاة والسلام وهذا حديث خطير :

**((ما من أمتي أحد ولي من أمر الناس شيئاً))**

[ الطبراني في الصغير والأوسط عن ابن عباس رضي الله عنه ، وفيه اسماعيل بن سيبب الطائفي وهو ضعيف ]

إن كنت معلماً في صف ، إن كنت موظفاً وتحت يدك عشرة موظفين .

**(( ما من أمتي أحد ولي من أمر الناس شيئاً لم يحفظهم بما يحفظ به نفسه وأهله إلا لم يرح**

**رائحة الجنة))**

[ الطبراني في الصغير والأوسط عن ابن عباس رضي الله عنه ، وفيه اسماعيل بن سيبب الطائفي وهو ضعيف ]



إذا كنت ولياً على عشرة ، إذا ولاك الله أمر بعض الناس ، ولم تتصحهم ، ولم تتمنى لهم ما تتمناه لنفسك ، ولم تفعل بهم ما تفعله مع نفسك ، قال عليه الصلاة والسلام هذا الإنسان لا يجد رائحة الجنة . وليأتين على القاضي العدل يوم القيامة ساعة يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في ثمرة ، إذا عدل ساعة أفضل من أن تعبد الله سبعين عاماً ، عدل ساعة ، عدل .

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾

[ سورة المائدة : ٨ ]

ويقول عليه الصلاة والسلام :

((إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه : أحفظ ذلك أم ضيعه ؟ حتى يسأل الرجل عن أهل

بيته))

[ النسائي وابن حبان في صحيحه عن أنس ]

فكل إنسان يأتي إلى بابك أمانة في عنقك ، الموكل أمانة في عنق المحامي ، والمتخصصمان أمانة في عنق القاضي ، والمريض أمانة في عنق الطبيب ، والطالب أمانة في عنق المدرس ، والشاري أمانة في عنق البائع إما أن تتصح ، وإما أن تغش ، إما أن تصدق ، وإما أن تكذب ، إما أن تحسن ، وإما أن تسيء ، إما أن تتصف وإما أن تظلم ، فكل من أنيط به عمل هؤلاء الذين أنيطت مصالحهم لهذا الإنسان ، إن حفظ جاز الصراط وإن لم يحفظ لم يرح رائحة الجنة ، لهذا يقول عليه الصلاة والسلام :

((إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه : أحفظ ذلك أم ضيعه ؟))

أيها الأخوة الأكارم ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيخطى غيرنا إلينا ، فلنتخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

\* \* \*

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أبواب الخير لا تعد ولا تحصى :

أيها الأخوة الأكارم ؛ مرة ثانية وثالثة نحن في شهر المولد ، والمؤمن الموفق الفالح الفائز الناجح المتفوق هو الذي يدرس سيرة النبي عليه الصلاة والسلام ، يدرس مواقفه ، يدرس شمائله ، يدرس أعماله ، سلوكه ، ويحاول أن يقتدي به ، فإن فعل هذا فقد حقق كل ما يرجى منه في عيد المولد . عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال :

(( بينما نحن في سفر مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ جاء رجل على راحلة له فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً . فقال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، وما كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له . فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل ))

[ مُسَلِّمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ ]

أحياناً يمر المجتمع بأزمات ، أزمة سكن ، أزمة عمل ، فالإنسان الذي بإمكانه أن ينفع أخاه فلينفعه ، الإنسان الذي بإمكانه أن يقدم لأخيه شيئاً فليقدم له ، لأن هذا مما يرضي الله عز وجل . بقي نقطة أخيرة في الخطبة وهي أن النبي عليه الصلاة والسلام ينبهنا أن أي عمل صالح مهما بدا لك صغيراً ، مهما بدا لك حقيراً ، هو عمل مقبول عند الله عز وجل ، ويقبله الله عز وجل ، ويثيب عليه ، ويرفع قدر صاحبه يوم القيامة ، لذلك قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

(( اتق الله ، لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً ، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي ))

[ الطيالسي ابن حبان في صحيحه عن جابر بن سليم الهجيمي ]

أي لو أنك أعطيت دورك في شراء الخبز لامرأة مسنة ، أو لطفل صغير ، فهذا عمل طيب ، هذا يقاس على هذا الحديث .

((... لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً ، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي...))

[ الطيالسي ابن حبان في صحيحه عن جابر بن سليم الهجيمي ]

لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً ، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي ، وأن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط ، أحياناً هناك أشخاص يضمنون بابتسامته في وجوه إخوانهم ، أو وجوه أصدقائهم ، أو وجوه جيرانهم ، أو وجوه من يعمل معهم ، ابتسامتك ، طلاقة وجهك ، انبساط وجهك ، صدقة عند الله عز وجل ، أحياناً ابتسامتك تثبت الأمن في أخيك ، أو فيمن يعمل معك ممن هو دونك ، ابتسامته لطيفة تعطيه الأمن والبشرى ، ابتسامته لطيفة ترفع بها معنوياته ، ابتسامته بسيطة تعطيه عزيمة على مواجهة الصعاب ، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام :

((... وأن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط ))

[ الطيالسي ابن حبان في صحيحه عن جابر بن سليم الهجيمي ]

أصحابه مرة ذهبوا إليه أسفين ، لأنهم يريدون أن يتصدقوا من أموالهم ، لينالوا ثواب المتصدقين، ولكن لا أموال لهم يبذلون منها ، فقالوا للنبي عليه الصلاة والسلام : " يا رسول الله من أين لنا صدقة نتصدق بها ؟ - أحياناً يكون أخ دخله محدود ، كل أمله أن يغطي حاجاته في هذا الشهر ، فهذا كيف يتقرب إلى الله عز وجل ؟ هذه المشكلة أجاب عنها النبي عليه الصلاة والسلام - فقال عليه الصلاة والسلام إن أبواب الخير كثيرة ، التسبيح ، والتحميد ، والتكبير ، والتهليل " بعض العلماء حمل هذا على أن تسبيح الله أن تقول : سبحان الله ، أن تجول في ملكوت السموات والأرض ، وبعضهم حملة على أن تذكر الناس بعظمة الله عز وجل، إما أن تذكر هذا لنفسك ، أو أن تذكره لغيرك ، فقال عليه الصلاة والسلام : " إن أبواب الخير كثيرة ، التسبيح ،

والتحميد ، والتكبير ، والتهليل ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ثم قال : وتميط الأذى عن الطريق ، وتسمع الأصم ، وتهدي الأعمى ، وتدلل المستدل على حاجته ، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث ، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف ، فهذا كله صدقة" .

انطلاقاً من هذا الحديث إن أبواب الخير لا تعد ولا تحصى ، أي عمل فيه نفع للآخرين ولو كان من مخلوقات الله العجماوات ، هذا عمل طيب يقبله الله جل جلاله .

أعيد عليكم نص هذا الحديث : " ذهب إليه بعض أصحابه آسفين لأنهم يريدون أن يتصدقوا من أموالهم ، لينالوا ثواب المتصدقين ، ولكن لا أموال لهم ، فقالوا يا رسول الله : من أين لنا نفقة نتصدق بها ؟ فقال عليه الصلاة والسلام إن أبواب الخير كثيرة ، التسبيح ، والتحميد ، والتكبير ، والتهليل ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ثم قال : وتميط الأذى عن الطريق ، وتسمع الأصم ، وتهدي الأعمى ، وتدلل المستدل على حاجته ، وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث ، وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف فهذا كله صدقة منك على نفسك " .

أيها الأخوة الأكارم ؛ بقي علينا أن نطبق هذه التوجيهات النبوية حتى نكون في مستوى هذه الدعوة المحمدية وإلا إذا اكتفينا بسماع الأناشيد ، وتناول الطعام الطيب ، والصلاة على النبي صلاة جوفاء ، فهذا ليس مما يرضى عنه الله عز وجل ، ولا يرضى عنه رسوله .

#### الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك ، اللهم إنا نعوذ من الفقر إلا إليك ، ومن الخوف إلا منك ، ومن الذل إلا لك ، نعوذ بك من عضال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء ، مولانا رب العالمين ، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير .

#### والحمد لله رب العالمين